

جذور الفكر السياسي لإيديولوجية حزب جبهة التحرير الوطني

د. سعيد شريقي

أستاذ محاضر صنف (ب)

المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة

مقدمة

من البديهي أن لكل حزب سياسي إيديولوجية، ولكل إيديولوجية منابع فكرية وجذور سياسية، يستمد منها هذا الحزب أو ذاك تصوراتَه لبناء مشروع المجتمع الذي يسعى إلى تحقيقه إن هو وصل إلى هرم السلطة، وإذا كانت الأحزاب تختلف بإيديولوجياتها، فالإيديولوجيات تتمايز بمنابعها الفكرية وجذورها التاريخية، وكذلك بنظرتها إلى المستقبل، كيف يكون المجتمع في ظل التحولات التاريخية والاجتماعية والسياسية. فكلما كانت الإيديولوجية متجذرة في عمق المجتمع كان ارتباط الحزب بالشعب أكثر تجذراً، في حين أن الإيديولوجية الغريبة عن الشعب مثلها مثل الشجرة المغروسة في غير تربتها، وهنا يكمن سر استمرار الحزب السياسي، أو انحساره، ومن هنا تأتي أهمية البحث في جذور الفكر السياسي لإيديولوجية حزب جبهة التحرير الوطني الذي كان ميلاده الرسمي في نوفمبر 1954. هذا الحزب الذي كان مقدمة وفي الوقت نفسه نتيجة لمخاض سياسي عسير، ومقدمة لمشوار أعسر وأطول، إذ

ما كان يتجاوز عقبة إلا واعترضته أخرى، نتيجة الترسبات التي علفت به من تناقضات الحركة الوطنية التي كانت لبنتها الأولى حركة الأمير خالد. ومن المفاهيم التي ارتأيت تحديدها في البداية هي:

1 - الفكر السياسي.

2 - الإيديولوجية.

3 - الحزب.

4 - تحليل حزب جبهة التحرير الوطني.

الفكر هو القوة الكامنة في الدماغ، والتي بمقتضاها ينتزع الإنسان صور المحسوسات ويجرد منها المعاني الكلية التي يستخدمها الذهن في تركيب المعاني التي تربط الإنسان بالعالم الخارجي⁽¹⁾ الزاخر بمختلف الظواهر التي يتفاعل معها الإنسان في مجال حياته متعددة الجوانب، ومنها الجانب السياسي الذي تتولى الأحزاب السياسية صياغته في نسق فكري يحمل إيديولوجية هذا الحزب أو ذاك، ومن هنا يمكن القول أن لا إيديولوجية بلا حزب، ولا حزب بلا إيديولوجية، ولا وجود لهذا أو ذاك بدون فكر سياسي، وهذا تأتي مشروعية التساؤل الآتي:

ما هو مفهوم الفكر السياسي؟

السياسة في تعريف لسان العرب لـ "ابن منظور" تحمل معنى الرئاسة، ومن ساس قومه فقد ترأسهم⁽²⁾، أما المرحوم الشيخ البشير الإبراهيمي فقد

1 - علي سامي النشار، ومحمد علي أبو ريان: قراءات في النسخة الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1967، ص 12.

2 - ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، مصر، 1979، ص 242.

عرّف السياسة بأنها: «تدبير الممالك بالقانون والنظام والإحسان والإنصاف»⁽¹⁾ ومن هذه التعاريف يبدو أن السياسة تهدف إلى إصلاح أمور الخلق وتوجيههم، والتوجيه يحمل في طياته النقد والنقد الذاتي، وكلاهما لا يؤديان وظيفتهما البناءة إلا إذا كان هناك إطار قانوني يضمن سيرهما الطبيعي، وما هذا الإطار إلا الحزب السياسي.

الفكر السياسي إذاً هو مجموعة من الآراء والأفكار التي صاغها العقل البشري لتفسير الظاهرة السياسية وعلاقتها بالمجتمع، في قوتها ووجودها وعدمها ووظائفها وخصائصها والقائمين بها⁽²⁾، ومن خلال هذا المفهوم العام للفكر السياسي تكون السياسة في تجلياتها الفكرية نشاطاً إنسانياً عاماً وشاملاً يظهر في الحياة الاجتماعية، هذا النشاط المقرون بالمجتمع، والسلطة في الوقت نفسه، لأن ممارسة السياسة تفترض وجود السلطة الفعلية وكذلك الجمعيات التي تمارس السياسة من أجل الوصول إلى السلطة بطريقة أو بأخرى، ومن هذه الجمعيات السياسية:

الحزب السياسي:

« الحزب جماعة من الناس تشاكلت قلوبهم وأعمالهم حتى وإن لم يلق بعضهم بعضاً »⁽³⁾ ومن هذا التعريف يبدو أن العلاقة بين أفراد الحزب

1 - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، ش.و.ن.ت، الجزائر، د.ت، ص 28.

2 - جهاد الحسني: الفكر السياسي العربي الإسلامي، بغداد، كلية العلوم السياسية، 1993، ص 20.

3 - الشيخ أحمد رضا: معجم متن اللغة، المجلد الثاني، ج 2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958، ص 7.

وجدانية تقرب بين الأفراد رغم البعد الجغرافي وتجعلهم يناضلون من أجل تحقيق غرض سياسي معين وهو الإيديولوجية التي قاربت بينهم وقد وردت كلمة "حزب" في القرآن الكريم بمعنى الجماعة الواحدة بنص قوله تعالى: [فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا ⁽¹⁾ الأحزاب في هذه الآية تعني الفرق، والتفرق يكون حسب اختلاف الآراء والتوجهات الفكرية والسياسية، واختلاف الأحزاب المعاصرة مبني على اختلاف الإيديولوجيات، وفكرة التحزب قديمة عرفت في عهد الرسول p، حين تحزب اليهود ودعوا إلى مقاتلته ⁽²⁾، وقد وردت كلمة "الأحزاب" في القرآن تارة بصيغة المفرد، وتارة بصيغة الجمع، المهم أن فكرة التحزب تعني التكتل والتجمع من أجل النضال والعمل لتحقيق غرض سياسي معين حين يصل الحزب إلى السلطة. أما السيد موريس ديفرجي فيرى أن «الحزب يطلق على الفئات التي تتوزع الجمهوريات القديمة، وعلى الزمر التي كانت تتجمع حول أحد قادة المرتزقة في إيطاليا إبان عصر النهضة وعلى النوادي حيث كان يجتمع نواب المجالس الثورية وعلى المنظمات الشعبية التي تسيطر على الرأي العام ⁽³⁾».

والأحزاب السياسية بالمفهوم العصري لم تكن معروفة في العالم العربي من ذي قبل، وظهر أول حزب سياسي في مصر سنة 1907، وهو حزب

1 - سورة الزخرف: الآية 32، انظر: تفسير الطبري، مكتبة رحاب، الجزائر، ص 334.

2 - انظر: السيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الخامس، دار الشروق، القاهرة، 1980، ص 2833.

3 - موريس ديفرجي: الأحزاب السياسية، ترجمة علي مقلد، دار النهضة للنشر، بيروت، 1980، ص 12.

الأحرار، ثم انتشرت الفكرة في بقية أرجاء العالم العربي⁽¹⁾. وهنا لا بدّ من التساؤل عن انتشار فكرة الحزب، هل هي بأعضائها أم بإيديولوجياتها؟ العلاقة جدلية بينهما. الإيديولوجية تنتشر وتمد جذورها في أوساط الشعب بثقافة الحزب وقوة أعضائه في التأثير في الرأي العام، والتأثير يكون بقوة الفكرة ومدى استجابتها لطموحات الشعب من جهة، وبمدى التزام أعضاء الحزب ومصادقيتهم واقتناعهم بالإيديولوجية التي يبشرون بها. وبهذا يمكن اعتبار الحزب قناة الاتصال بين المواطنين والسلطة، وكذلك تنظيم الرأي العام، وتحويل الفكر الاجتماعي وترجمته إلى برنامج سياسي يعد الحزب بتطبيقه إن هو بلغ إلى هرم السلطة، ولكن كل هذا يتوقف على دور الحزب في التنشئة السياسية والثقافية للمواطنين وتحضيرهم فكرياً للثورة في أشد الحالات تأزماً، أو خوض معارك انتخابية حامية الوطيس بين الإيديولوجيات المتعارضة. ولهذا فالحديث عن الحزب وإيديولوجية الحزب لا يكون واضح الدلالة إلا بتحديد مفهوم الإيديولوجية لأن الإيديولوجية بدون مؤسسة سياسية تظهر في نشاطها تظل صورة باهتة، ووجود أعضاء حزب بدون إيديولوجية يعطي لونا سياسياً ويحمل مشروع مجتمع يبقى مادة بدون صورة. العلاقة إذاً علاقة تأثير وتأثر، فوجود الواحد يستدعي بالضرورة وجود الآخر⁽²⁾ ومادام الأمر كذلك فما هي الإيديولوجية؟

1 - فاروق حمادة: جريدة الشعب 6 نوفمبر 1989، ص 12.

2 - نعمان الخطيب: الأحزاب السياسية ودورها في نظام الحكم المعاصر، رسالة دكتوراه جامعة الإسكندرية، 1983، ص 9.

مفهوم الإيديولوجية:

يستخدم هذا المصطلح للدلالة على مجموعة نظامية من المفاهيم في موضوع الحياة أو الثقافة البشرية، كما يستعمل للتعبير عن مجموعة من الأفكار المبنية على نظرية اقتصادية أو سياسية⁽¹⁾، أو هي منظومة من الأفكار تتبلور في شكل عقيدة سياسية أو اجتماعية تقوم عليها سياسة حكومة أو حزب معين⁽²⁾ أو هي «جملة وجهات النظر السياسية والحقوقية والأخلاقية والدينية والفنية التي تعكس مصالح هذه الطبقة التي أوجدت هذه الإيديولوجية التي تؤدي دور السلاح الثوري في النضال لقلب نظام الاستغلال وبناء الشيوعية»⁽³⁾.

نلاحظ أن هذا التعريف يحصر الإيديولوجية في توجه سياسي معين، ولكن لكل حزب إيديولوجية معينة حسب المرجعية الثقافية لهذا المجتمع أو ذاك، ونجاح الإيديولوجية مرهون بمدى ارتباطها بال جماهير وتمسكها بهذه المرجعية الثقافية، والتجربة أثبتت أن الإيديولوجية الغربية عن المجتمع لا تعمر طويلا، وهذا ما نلاحظه في حياتنا المعاصرة، أن كل الأحزاب التي تقمصت إيديولوجية تغريبية تحاول تهجين المجتمع الجزائري وتغريبه أو اقتلاعه من جذوره الحضارية لم يكتب لها الانتشار في أوساط المجتمع، لأن

1 - منير البعلبكي: المورد، قاموس عربي-إنجليزي، ط 7، دار العلم للملايين، بيروت، 1974، ص 447.

2 - إلياس فرح: تطور الإيديولوجية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979، ص 8.

3 - عبد الرزاق الصافي: القاموس السياسي، الوطن العربي، بغداد: 1973، ص 77.

العمل السياسي لأي حزب لا يمكن أن يرتفع إلى مستوى العصر ومستوى طموحات الجماهير التي تنتظر الكثير من الأحزاب، إلا إذا كان مدعما باتجاه عقائدي، أو منظومة منسجمة من الأفكار التي تحدد اتجاهها إيديولوجيا معيناً، ولهذا حاولت جبهة التحرير الوطني التي حملت على عاتقها قضية التحرير الكبرى أن تتدارك النقص في المجهود النظري المسجل منذ قيام الحركة الوطنية والإصلاحية بانصرافها إلى إثراء الميثاق الإيديولوجية من ميثاق الصومام وميثاق الجزائر، والميثاق الوطني⁽¹⁾، الذي يمكن اعتباره الوثيقة الأولى التي تحمل بوضوح المعالم الإيديولوجية لحزب جبهة التحرير الوطني، هذا الميثاق الذي ظل إلى غاية 1988 المعيار الفاصل بين من ينتمي إلى إيديولوجية حزب جبهة التحرير الوطني ومن ينتمي إلى إيديولوجية أخرى، وتعدد الإيديولوجيات بعد الاستقلال لم يكن وليد هذه المرحلة بل إن الحركة الوطنية التي انبثقت منها جبهة التحرير الوطني عرفت التعدد الإيديولوجي إلى درجة الصراع الذي حاول الاستعمار الفرنسي استغلاله لاحتواء بعض الشرائح الاجتماعية من الشعب الجزائري لضرب بعضها البعض ويبقى هو في موقع المتفرج، ومن ضمن الشرائح التي كان يراهن عليها: دعاة الاندماج الأكثر قابلية للاحتواء والإغراء والاستمالة باسم "النخبة" الذين صنفهم أحد الكتاب الفرنسيين، إلى غلاة ومعتدلين، الغلاة هم من اللائكيين المعتنقين للمسيحية، والمعتدلون من المتجنسين المحافظين على الديانة الإسلامية في حين دعا بعض

1 - عبد الله شريط: المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، ديوان المطبوعات الجامعية،

الجزائر، 1981، ص 31.

المتطرفين إلى التكرار الكلي لما هو جزائري، والعزف على وتر العرق القبائلي، ويزعم أن المسيحية الحية تحت عباءة الجزائر الإسلامية⁽¹⁾. نلاحظ أن مضمون هذا النص يعبر عن إيديولوجية معينة، ما يزال دخانها ينبعث من حين لآخر في عصرنا الحاضر، ولكن هذا التوجه الإيديولوجي لقي ردا عنيفا من إيديولوجية وطنية ذات بعد قومي وإسلامي، مما أدى إلى انصهار الحركة الوطنية في حزب جبهة التحرير الوطني سنة 1954. هذا الحزب الذي يعتبر مقدمة ونتيجة في الوقت نفسه فهو مقدمة لعمل سياسي شاق، ونتيجة لمخاض نضالي أشق، وما هذا النضال إلا نشاط العمل السياسي الدؤوب الذي انطلقت شرارته الأولى من حركة الأمير خالد وتطورها الإيديولوجي:

فمن هو الأمير خالد؟

الأمير خالد بن الهاشمي حفيد الأمير عبد القادر ومن مواليد دمشق سنة 1875 تحصل على رتبة نقيب من الجيش الفرنسي، وتقلد عدة مناصب ورتب، ويعتبر من رواد الحركة الوطنية الإصلاحية المطالبة بالحقوق المدنية والسياسية في ظل الاحتفاظ بقانون الأحوال الشخصية الإسلامية ورفض التجنس الذي تبناه الجناح الثاني من الحركة بزعامة الدكتور بن تومي وأمثاله⁽²⁾، وهذه الحركة أدت دورا اجتماعيا مظهرا، وسياسيا مخبرا. وهنا

1 - محمد عباس، الإيديولوجية الاندماجية، مقال في جريدة الشعب، عدد 24 نوفمبر 1986، ص 10.

2 - محمد عباس، مقال في جريدة الشروق، ركن كواليس التاريخ، العدد 2584 بتاريخ 14 أبريل 2009، ص 23.

يجب الوقوف على نقطة أساسية هي أنه رغم المكانة التي كان يحتلها والثقافة التي اكتسبها من التعليم العسكري الفرنسي، فإنه لم يتنكر لجذوره الحضارية، وقد ساهم مساهمة كبيرة في تنظيم مهاجري المغرب العربي ولم شملهم على أسس دينية ووطنية إنسانية تزامنا مع ارتفاع عدد المهاجرين في فرنسا، واستغلوا هامش الحرية المعطاة للجزائريين المتواجدين هناك لممارسة النشاط النقابي أو السياسي⁽¹⁾، ثم إن الرصيد الإسلامي الذي جمع المهاجرين من الأقطار الثلاثة (الجزائر، تونس، المغرب) تفاعل مع حركة جمال الدين الأفغاني التي حملتها مجلة "العروة الوثقى" الصادرة بباريس، ثم نشاط مصطفى كامل مؤسس الحزب الوطني المصري وما قام به من نشاط ضد الاحتلال الإنجليزي والجمعيات السرية وحرب الريف التي هزت العالم العربي والفرنسي⁽²⁾ كل هذه العوامل الداخلية والخارجية ساهمت في تحضير المناخ الفكري والسياسي لميلاد أول حزب سياسي بالمفهوم التقني بكلمة "حزب" هو:

نجم شمال إفريقيا:

لقد تأسس هذا الحزب في فرنسا من ممثلين عن عمال الأقطار الثلاثة (الجزائر، المغرب، تونس) فنصت المادة الأولى من القانون الأساسي الذي صادقت عليه الجمعية العامة 28 ماي 1933 في باريس على أن جمعية « نجم

1 - عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث، ترجمة فيصل عباس ومراجعة خليل أحمد خليل، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص 151.

2 - محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919 - 1939، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981، ص 32.

شمال إفريقيا، تضم كل المسلمين في إفريقيا الشمالية وفي المادة الثانية من القانون نفسه حدد الهدف الإيديولوجي للحزب وهو: « الكفاح من أجل الاستقلال الكامل لكل واحد من البلدان الثلاثة: الجزائر، المغرب، تونس ووحدة الشمال الإفريقي »⁽¹⁾ ويحمل البرنامج السياسي لهذا الحزب مطالب سياسية وثقافية واجتماعية، كلها محتواة في المطلب الأساسي هو الاستقلال والمساواة الانتخابية وإعادة الأراضي المغتصبة مع أحقية التعليم في جميع المستويات وتأسيس المدارس بالعربية⁽²⁾.

وفكرة استرجاع الأراضي وتوزيعها على المستحقين تتضمن في طياتها مطالبا اشتراكيا رغم عدم التصريح بها حفاظا على وحدة الصف حتى لا ينزعج ذوو الإيديولوجية الرأسمالية التي لا تعارض الاستقلال ولكنها لا توافق على النهج الاشتراكي الذي يهدد أملاكها، ومما يؤكد تمسك النجميين بمبدأ الاستقلال التام هو رفضهم لمشروع "بلوم فيوليت" الذي اعتبروه خطرا على الشخصية الوطنية⁽³⁾. إن هذا المشروع الذي يمنح بعض الحقوق الانتخابية للجزائريين رفضه المعمرون خوفا من مزاحمتهم في المقاعد الانتخابية ورفضه حزب نجم شمال إفريقيا من جهته، لأنه يحصر القضية الجزائرية في بعض المطالب البرلمانية والحقوق الاجتماعية، وهو ما يميع القضية الأم، وهو

1 - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، دار البعث، قسنطينة،

الجزائر، 1984، الملحق رقم 1، ص 205.

2 - الملحق رقم 2 المصدر نفسه.

3 - زوزو عبد الحميد، دور المهاجرين الجزائريين في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919 - 1939، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974، ص 71.

الاستقلال التام، ولهذا لم يتحمس له إلا الأقلية المثقفة باللغة الفرنسية التي وصل الغرور ببعض زعمائها إلى حد نكران الأمة الجزائرية التي دافعت عنها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دفاعا مستميتا إلى درجة تعرض بعض أعضائها إلى المضايقات والسجن والقمع، هذه الجمعية التي تأسست سنة 1931 وجعلت مقرها في العاصمة الجزائرية، أما إيديولوجيتها قد وقع حولها خلاف بين منصف ومجحف، السيد فرحات عباس حصر نشاطها وإيديولوجيتها في محاربة المرابطين الذين اعتبرهم أداة للاستعمار بالإضافة إلى تكوين إطارات معربة⁽¹⁾. المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان يرى أن برنامج الجمعية كان يرمي إلى تحقيق هدف ديني وثقافي، ففي الميدان الديني، العمل لتنقية الإسلام من الشوائب التي لحقت به، وفي الميدان الثقافي القضاء على الخلافات المذهبية بين المسلمين الجزائريين⁽²⁾.

إذا سلمنا جدلا بهذا الطرح، وحصرنا إيديولوجية العلماء في توحيد المسلمين الجزائريين وتنقية الإسلام من الخرافات للوقوف على الإسلام الحقيقي، كما يقول البعض، يمكن القول أنها جمعية إصلاحية غايتها البعيدة هي إصلاح المجتمع وتوعيته للمطالبة بحقوقه السياسية والاجتماعية، والاستقلال حق سياسي وقد حدثنا التاريخ عن حركة الإصلاح الديني في أوروبا والتي

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج 3، الجزائر، 1974، ص 91.

2 - شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة المنجي سليم وآخرون، ش.و.ن.ت، الجزائر 1976، ص 135.

قادها "مارتن لوثر" وكان من نتائج هذه الحركة ظهور نظريات سياسية أفضت إلى قلب أنظمة الحكم الماسكة برقاب الشعوب.

ثم إنه لو لم تكن الجمعية خطرا على الاستعمار لماذا كان يحارب نشاطها ويضيق على أعضائها؟ إن محاولة التقليل من أهمية الجمعية في الحياة السياسية الغرض منه تقزيم دورها في المساهمة في تكوين المناخ السياسي الذي أثمر ثورة نوفمبر 1954، وإعلاء دور الحزب الشيوعي في هذا الميدان.

صحيح أن موقف جمعية العلماء لم يكن صارما من ثورة التحرير عند اندلاعها سنة 1954، لأن أعضاء المنظمة الخاصة التي أعلنت الثورة في فاتح نوفمبر 1954 تكتمت في الإعداد والإعلان عن تاريخ انطلاق الثورة حتى على أقرب المناضلين في الحركة الوطنية، ولعل هذا ما أربك الكثير من الثوار ومنهم أعضاء الجمعية التي كان بعض أعضائها يتقنون في المفاوضات مع الحكومة الفرنسية، ومنهم الشيخ خير الدين الذي تساءل عن قدرات جبهة التحرير المادية وإعداد العدة للثورة، والقدرة على ضمان الانتصار على فرنسا، ولكن فيه جناح آخر وعلى رأسهم الشيخ العربي التبسي الذي أدان المشاركة في المفاوضات ونشر بيانا بتاريخ 8 نوفمبر 1954 أعلن فيه تأييده للثورة ورأى في أنّ الكفاح المسلح هو أقصر وأنجح طريق للتحرر من الاستعمار الفرنسي⁽¹⁾ وهذا بعد الإعلان عن الثورة. أما قبل الإعلان عنها فالخلاف بين الجمعية وباقي الأحزاب، خلاف في المنهج وأسلوب العمل. العمل السياسي الناجح لا يكون بالتفرقة، بل بوحدة الصف وتأجيل الخلافات

1 - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، مرجع سابق، ص 188.

الجزئية إلى أن يحين وقت مناقشتها، وقد نصت المادة العشرون من القانون الأساسي للجمعية على ضرورة تناسي كل خلاف يفرق صفوف الأمة وطالبت بالتآزر والتكاتف من أجل الحفاظ على وحدة الكلمة التي تخدم الأمة (1).

وفي رد ابن باديس على دعاة الاندماج جاء ما يلي: « أيها الشعب الجزائري، أيها الشعب الجزائري المسلم، أيها الشعب العربي الأبّي، حذار من الذين يمنونك ويخدعونك، حذار من الذين يأتونك بوحى من غير نفسك وضميرك، ومن غير تاريخك وقوميتك استوح الإسلام، ثم استوح تاريخك وقلبك » (2) وفي نص آخر قال لدعاة الاندماج الذين ركبوا حصان فرنسا: « إنّ الشعب الجزائري ليس فرنسيا، ولا يريد أن يكون فرنسيا، حتى ولو أراد ذلك فلا يستطيع، لأنه بعيد عن فرنسا كل البعد بلغته وعاداته وأصوله وديانته » (3) هل توجد وثيقة رسمية صادرة من دعاة الاندماج، أو من الشيوعيين الجزائريين في مستوى هذا التحدي لفرنسا، أو ممن كانوا يسبحون بحمدها في الجزائر وخارج الجزائر ويدورون في فلکها؟

ركزت جمعية العلماء نشاطها على الجانب الديني والتربوي والثقافي حتى لا يستطيع الاستعمار الفرنسي احتواء الشعب الجزائري، هذه الاستعالة

1 - سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الكتب الجزائرية، 1982، انظر الملحق، ص 12.

2 - عمار منالبي، ابن باديس حياته وآثاره، مختبة درازة، ج 3، الجزائر، 1968، ص 365.

3 - جوان غلسبي، الجزائر الثائرة، تعريب خيرى حساني، دار الطليعة، بيروت، 1961، ص 62.

التي عبر عنها أحد الفرنسيين بمرارة حين قال: « لقد أضحي إلحاق الشعب الجزائري بفرنسا من المستحيلات، أردنا ذلك أم أبينا، نظرا لاختلاف الشعبين في الجنس والدين »⁽¹⁾ وجمعية العلماء وقفت صامدة ضد محاولة الإدماج والتجنيس مما جعلها عرضة للمضايقات المستمرة والمتابعات من طرف الاستعمار الفرنسي الذي استهدف أعضائها ومعلميها، وكذلك بعض محبيها الذين كانوا يساهمون ماديا في بناء المدارس والنوادي في مختلف أنحاء البلاد⁽²⁾. ولعل المسألة التي أغضبت نجم شمال إفريقيا هو الموقف المرحلي والتكتيكي الذي اتخذته جمعية العلماء من مشروع بلوم فيوليت، وجمعية العلماء وافقت عليه لأسباب مرحلية في حين أصر نجم شمال إفريقيا على رفضه لأسباب لها ما يبررها من الناحية النضالية، مما جعل الحكومة الفرنسية تقدم على حل الحزب سنة 1937 بإيعاز من الشيوعيين الذين حاربوا نجم شمال إفريقيا بقوة وحارب النجميون الحزب الشيوعي بقسوة، كما عبر عن ذلك مصالي الحاج الذي طالب بسحب الثقة من الشيوعيين⁽³⁾ هذا الحزب الذي أسقط القناع وأعلن معاداته للنزعة الوطنية⁽⁴⁾ حين أعلن رفضه لاستقلال الجزائر، هذا الاستقلال الذي يفصل الجزائر عن فرنسا ويضعها تحت الحكم الأمبريالي - حسب زعمهم - كما ثار الشيوعيون ضد الإصلاح الديني الذي يؤدي إلى

1 - ريمون آرون (وآخرون)، الاستقلال للجزائر، ترجمة جان جبريال، لبنان، 1958، ص 25.

2 - محمد العربي الزبيري، جريدة المجاهد، عدد 50، يوم 19 سبتمبر 1980، ص 19.

3 - أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 53.

4 - العربي الزبيري، جريدة المجاهد، عدد 1053، 10 أكتوبر 1986، ص 25.

النتيجة نفسها، وكان ردهم عنيفا ضد أولئك الذين يتظاهرون بمقاومة الخمر ليمنعوا الأهالي من دخول المقاهي الأوروبية، واعتبروا مناضلي حزب أحباب البيان وطنيين مزيفين لأنهم لا يشعرون بالحاجات الحقيقية للطبقات الشعبية فهم بورجوازيون، وينتقدون الحزب الشيوعي لأنه تخلى عن مبدأ حرية الشعب في تقرير مصيره⁽¹⁾، وهذا ما عبر عنه "موريس طوريز" شيوعي المذهب في المؤتمر السابع للحزب الشيوعي حين قال: « لا سلام لشعوب المستعمرات خارج نطاق فرنسا، وإنّ الذين يطالبون باستقلال الجزائر عن فرنسا، هم عملاء لدولة استعمارية أخرى »⁽²⁾.

يمكن اعتبار هذا الموقف عاديا لأنه موقف حزب مقطوع الصلة بالأغلبية الساحقة من الشعب الجزائري، هذا الحزب الذي لم يكن يتصور إمكانية قيام ثورة مسلحة ضد أعتى قوة في العالم، وعند قيامها شارك فيها بعض الشيوعيين كأفراد وليس كحزب شيوعي، لأن مبادئ الثورة التحريرية التي قادتها جبهة التحرير الوطني تتعارض وتتناقض مع إيديولوجية الشيوعيين، وشتان بين حزب استمد جذور إيديولوجيته من قيم الإسلام الذي حث على الجهاد في سبيل الله، وحزب استمد إيديولوجيته من الأممية العالمية المستوردة من وراء البحار.

1 - عبد الله شريط، المسألة الوطنية والحزب الشيوعي، انظر جريدة المجاهد، العدد

1081، أفريل 1981، ص 32.

2 - جوان غلسبي، مرجع سابق، ص 86.

وهكذا مرت الحركة الوطنية من نجم شمال إفريقيا إلى حزب الشعب الجزائري الذي رفض أية تسوية في إطار الوجود الفرنسي، هذا الحزب الذي عبأ الجماهير الجزائرية إلى غاية 1945، ومع بداية 1946 ظهرت حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي تكونت من قاعدة شعبية، وإطارات بورجوازية أدت دور المعرقل، لاسيما أن القائد مصالي الحاج لم يتمكن من إعطاء رؤية واضحة للحركة⁽¹⁾.

إن الصراع المذهبي والإيديولوجي بين الأجنحة السياسية هو الذي جعل جمعية العلماء توجه نداء إلى هؤلاء دعته فيهم إلى تجاوز الخلافات الهامشية التي تفيد الاستعمار ولا تفيد الجزائر، وبين النداء أن الانتخابات التي تجري في البلدان غير الناضجة من طبيعتها أن تبعث البلبلة في الأفكار، وتحدث تصدعا في كيان الأمة. وفي ختام النداء طالبت الجمعية قادة الأحزاب أن يتحملوا مسؤولياتهم أمام الله والوطن والأمة⁽²⁾ وهذا النداء يبين أن جمعية العلماء لم تكن بعيدة عن النشاط السياسي الذي تبلور في إيديولوجية حزب جبهة التحرير الوطني التي عرفت صراعا إيديولوجيا برز بشكل أكثر وضوحا في المؤتمر الذي انعقد سنة 1953 وظهرت خلافات فكرية ومنهجية بين الأطراف المتنازعة حول مستقبل الثورة والعمل السياسي، ومن المسائل الهامشية التي أثارها البعض، والتي لا تخدم مصلحة الأمة والثورة، مسألة (البربرية) التي أدانتها اللجنة المركزية واعتبرتها انحرافا طائفيا، وورقة رابحة

1 - شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، مرجع سابق، ص 49.

2 - البصائر، عدد 10، يوم 13 أكتوبر 1947، ص 21.

في أيدي الاستعمار⁽¹⁾ ولهذا دعت اللجنة الثورية للوحدة والعمل إلى الاتصال بالمناضلين المخلصين وكثفت جهودها في سرية تامة للتوفيق بين الجناحين المتعارضين » وعقدت اجتماعا مصغرا في شهر سبتمبر 1954 واستعرضت نتائج المساعي المبذولة وقررت إعلان الثورة، بعد أن درست المشاكل المتوقعة. وفي اجتماع 10 أكتوبر 1954 قررت اللجنة المصغرة المتكونة من ستة أعضاء أن تتطلق الشرارة الأولى للثورة في أول نوفمبر 1954⁽²⁾، وكانت أول وثيقة إيديولوجية صدرت عن هذا الحزب هو بيان فاتح نوفمبر 1954. وهنا لا بدّ من الوقوف عند ملاحظة، هي أن الصراع القائم حاليا حول مشروع المجتمع الجزائري بين العلمانيين والوطنيين والإسلاميين، ما هو إلا امتداد للصراع الذي كان بين الأجنحة المتصارعة أثناء وقبل الثورة. هذا الصراع الذي استطاعت جبهة التحرير الوطني احتواءه بفضل تفوق العناصر الوطنية المكونة لهذا الحزب الذي تغذى من الحركة الإصلاحية التي ارتوت من منابع فكرية إسلامية وطنية، وهذا ما يظهر من مضمون بيان فاتح نوفمبر 1954، هذا البيان الذي يحمل في طياته مشروع مجتمع جزائري أصيل ومتفتح، أصيل في جذوره ومتفتح في أهدافه.

1 - جوان غلسبي، الجزائر الثائرة، مرجع سابق، ص 102.

2 - محمد الطيب العلوي، انظر المجاهد الأسبوعي، العدد 1072، يوم 20 فيفري 1981،

إيديولوجية حزب جبهة التحرير الوطني:

إنّ أول وثيقة تعكس إيديولوجية جبهة التحرير الوطني، هي بيان أول نوفمبر 1954، وهذا البيان وإن كان يحمل مبادئ عامة لمشروع المجتمع الجزائري في نظر حزب جبهة التحرير الوطني، فإنّه لم ينطلق من فراغ، بل هو نتيجة، أو حوصلة لمختلف المبادئ التي ظلت الحركة الوطنية ذات البعد العربي الإسلامي تطالب به، وتناضل من أجل تحقيقه، فرغم الاختلاف الجزئي في مناهج العمل التي تبناها كل جناح من أجنحة الحركة الوطنية، فالهدف ظل واحدا ومركزا على الاستقلال السياسي والثقافي للشعب الجزائري، وبعد أن بيّن الصعوبات والعراقيل المنتظرة أشار إلى المبادئ العامة والأهداف المراد تحقيقها من الثورة وهي إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية ذات السيادة ضمن المبادئ الإسلامية، مع احترام جميع الحريات السياسية دون تمييز عرقي أو ديني⁽¹⁾، ومن المعلوم أن الشروط أو الأركان الأساسية لقيام الدولة وبناء مؤسساتها هي: إقليمها الجغرافي، وشعبها ولغتها ودينها. إنّ تحديد الطابع الإسلامي للدولة الجزائرية التي تتأسس بعد الاستقلال كان من العوامل التي حفزت الشعب الجزائري ووحدت صفوفه من أجل تحقيق النص المبين، والتأكيد على الطابع الإسلامي ليس جديدا في بيان حزب جبهة التحرير الوطني، بل أن الأحزاب السياسية والحركات الشعبية منذ نشأتها اعتمدت على هذه المبادئ المستمدة من عمق الشعب الجزائري وشعوره الجماعي. فجبهة

1 - انظر: بيان أول نوفمبر 1954، حزب جبهة التحرير الوطني، النصوص الأساسية،

وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1974، ص 8.

التحرير الوطني لم تعمل إلا لبلورة هذه المبادئ في الوثائق الرسمية التي تلت بيان أول نوفمبر، بدءا من ميثاق الصومام إلى ميثاق طرابلس ثم ميثاق الجزائر، وأخيرا الميثاق الوطني.

وهناك أساس آخر لإيديولوجية جبهة التحرير الوطني وهو رفضها للمقياس العرقي والطائفي الذي حاربتة الحركة الوطنية عبر نضالها السياسي الطويل، والذي أصبح يطفو على السطح من حين لآخر في وقتنا الحاضر. هذا العامل الذي أصبح سلاحا في أيدي الانفصاليين الذي يعملون لإجهاض الوحدة الوطنية التي أكد عليها بيان أول نوفمبر 1954 حين دعا إلى نبذ الخلافات الهامشية والترفع على جميع النزعات السياسية والجهوية للوقوف صفا واحدا ضد العدو الفرنسي الذي تجب محاربته بجميع الوسائل كما جاء في البيان⁽¹⁾، وهناك نقطة تجاوزها البيان وهي التوجه الاقتصادي اشتراكيا كان أو رأسماليا، لأن الظرف السياسي لم يكن مواتيا لطرح مثل هذه القضايا التي قد تستفز الطبقة البرجوازية التي كانت الثورة في أمس الحاجة إليها آنذاك، ولكن هذا النقص تجاوزته الوثائق الأخرى، والمسألة الأخرى هي موقف جبهة التحرير الوطني من الحزب الشيوعي الذي اعتبره ميثاق الصومام أداة مكتبية في أيدي الحزب الشيوعي الفرنسي المرفوض من طرف جبهة التحرير الوطني ذات التوجه العربي الإسلامي⁽²⁾، والأساس الثاني لهذه الإيديولوجية هو اللغة العربية

1 - جبهة التحرير الوطني، مرجع سابق، ص 9.

2 - المرجع نفسه، ص 16.

التي تعتبر إحدى الخصائص المميزة للثقافة الوطنية⁽¹⁾ وهذا العنصر من عناصر الهوية الوطنية كان من ضمن المطالب الأساسية لكل الأحزاب والحركات السياسية التي تداولت الساحة السياسية في الجزائر منذ حركة الأمير خالد إلى ظهور حزب جبهة التحرير الوطني في فاتح نوفمبر 1954. هذا الحزب الذي بلور إيديولوجيته في ميثاقه 1976 و1986.

ولكن شتان ما بين الإيديولوجية كأفكار، وبين الممارسة كتطبيق وما هذه العراقيل التي نلاحظها في الميدان إلا نتيجة لبقاء بعض الترسبات الموروثة من عناصر الحركة الوطنية التي استطاعت أن تحافظ على بقائها وتتسرب إلى مراكز النفوذ كلما وجدت فرصة لذلك، وتحاول إيقاف عجلة التاريخ بسياسة المد والجزر ومسك العصا من الوسط. ولكن دوام الحال من المحال، [ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز]⁽²⁾.

خلاصة:

يعتبر بيان أول نوفمبر 1954 شهادة ميلاد لحزب جبهة التحرير الوطني، الذي تكون في ظروف سياسية عسيرة، نظرا لطبيعة المرحلة التي مرت بها الحركة الوطنية واختلاف وجهات نظر أجنحتها، بين مؤيد للكفاح المسلح، ومعارض له.

1 - جبهة التحرير الوطني، المرجع السابق، ص 30.

2 - سورة الحج: الآية 40.

وإذا كان ميلاد حزب جبهة التحرير الوطني في سنة 1954، فإنّ بذوره الأولى يمكن إرجاعها إلى حركة الأمير خالد، مروراً بحزب نجم شمال إفريقيا والحركات السياسية التي جاءت بعده، دون أن ننسى حركة الإصلاح التي ساهمت في الحفاظ على القيم الحضارية والثقافية التي كانت تغذي الحركة الوطنية بقيم التضحية والجهد لتحرير البلاد والعباد. وإذا ما تتبعنا مسار جبهة التحرير الوطني نلاحظ خط التواصل الإيديولوجي في هذا المسار، بدءاً من بيان أول نوفمبر 1954 مروراً بميثاق الصومام وبرنامج طرابلس، وميثاق الجزائر 1964، وصولاً إلى الميثاق الوطني الذي زكاه الشعب الجزائري بعد المناقشة والإثراء سنة 1976.

ولعل هذا التواصل الإيديولوجي الذي تبني الوسطية في المبادئ والليونة في التطبيق هو الذي ساعد جبهة التحرير الوطني على تحدي خصومها الذين يطالبون بتغليفيها بغلاف ذهبي مغشوش ووضعتها في تابوت التاريخ.